المحاضرة 02: القصة والخطاب

إعداد الأستاذة: سعيدة حمداوي

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: نقد حديث ومعاصر

الأهداف:

أن يتعرف الطالب على مصطلحات النقد السردي، ويستنتج الفروق بينها والمميزات التي تسم كل مصطلح.

الملخص:

توضح هذه المحاضرة الفروق البارزة بين مصطلحين محوريين من مصطلحات النقد السردي وهما القصة والخطاب.

يتضمن العمل الأدبي في مستواه الأعم مظهران: فهو قصة وخطاب في الوقت نفسه. بمعنى أنه يشير في الذهن واقعا ما وأحداثا قد تكون وقعت وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية، وقد كان بالإمكان نقل تلك القصة ذاتها بوسائل أخرى، فتنقل بواسطة شريط سينمائي مثلا، وكان بالإمكان التعرف عليها كمحكي شفوي لشاهد ما دون أن يتجسد في كتاب. غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه، فهناك سارد يحكي القصة، أمامه يوجد قارئ يدركها. وعلى هذا المستوى ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهم، إنما الكيفية التي بها أطلعنا السارد على تلك الأحداث.

لقد دخل مفهوما القصة والخطاب دراسات اللغة بكيفية نهائية بعد صياغتهما صياغة حاسمة من طرف اميل بينفنيست. والشكلانيون الروس هم أول من عزل هذين المفهومين

اللذين أطلقوا عليهما الحكاية أو المتن الحكائي (ما وقع فعلا) والموضوع أو المبني الحكائي (الكيفية التي بها يتعرف القارئ على ما وقع). كان شلوفسكي يصرح بأن القصة ليست عنصرا فنيا بل مادة سابقة على الأدب، بينما كان الخطاب وحده بناء جماليا بالنسبة له. وقد كان يعتقد أنه من الأنسب لبنية العمل أن يأتي حل العقدة، سابقا على العقدة، ولم يكن يرى من الملائم أن يقوم البطل بهذا الفعل بدل الآخر (وقد كان الشكلانيون الروس يدرسون في الواقع هذا وذاك). غير أن المظهرين القصة والخطاب أدبيان معا، ولعل البلاغة الكلاسيكية قد اهتمت بهما معا، فكانت القصة من اختصاص L'inventio أي الابتداع ويتعلق بالدلالة والخطاب من اختصاص La dispositio أي الانشاء ويتعلق بالتركيب.

بعد ذلك بثلاثين سنة، انتقل شلوفسكي نفسه، في وثبة من الندم، من النقيض إلى النقيض مؤكدا أنه من المستحيل ومن غير المجدي فصل الجزء الحدثي عن تنسيقه التركيبي، إذ أن الأمر يتعلق في كلتا الحالتين بالشيء ذاته أي بمعرفة الظاهرة». ويبدو لنا هذا التأكيد غير مقبول مثله مثل التأكيد السابق، فهما ينسيان أن العمل له مظهران وليس مظهر واحد صحيح أن تمييزهما ليس دائما بالأمر السهل، غير أننا نعتقد أنه لفهم وحدة العمل ذاتها، ينبغي أولا عزل هذين المظهرين.

وعليه، يتكون العمل السردي من متن حكائي ومبنى حكائي، أو ما يسمى أيضا بالقصة والخطاب، أو المضمون والشكل، أو الملفوظ والتلفظ، أو المادة والصيغة. وكان الشكلانيون الروس أول من وضع هذه الثنائية. وفي هذا الجدول سنبين صفات كل منهما.

القصة	الخطاب
سلسلة أو متوالية من الأحداث	خطاب ينظم هذه الأحداث ويقدمها ويكون تقديم هذه الأحداث في خطاب ينتقل به إلى عملية السرد

يحوي المتن الحكائي دلالات النص أو ما يسمى أيضا بالغرض، وقد وضع في نظام معين، ورتب وفق ترتيبين: سببي منطقي، وزمني كرونولوجي. وهو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل. ويمكن أن يعرض بطريقة عملية حسب النظام الطبيعي؛ بمعنى أنه النظام الوقتي والسببي للأحداث، ويتجلى باستقلال عن الطريقة التي نظمت بها تلك الأحداث أو أدخلت في العمل.	يتألف المبنى الحكائي من الأحداث نفسها، بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا، وهي عبارة عن أحداث تنجزها الشخصيات في فضاء ما، ويرتكز على الصياغة، والمنظور السردي، والوصف، والدراسة الزمنية للخطاب السردي.

وينظر إلى السرد من زاويتين مختلفتين يحددهما تناوله من حيث هو قصة أو خطاب والذي يوضحه الجدول الآتي:

السرد بوصفه قصة	**السرد بوصفه خطابا**
منطق الأفعال (الروائية)(التكرارات: الطباق، التدرج، التوازي)، النموذج الثلاثي(محاولة، طموح، مصيبة)، الشخصيات وعلاقاتها(المحمولات الأساسية: الرغبة، التواصل، المشاركة)	زمن السرد(التسلسل، التناوب، التضمين، زمن الكتابة، زمن القراءة)، مظاهر السرد(الرؤية)، أنماط السرد(التمثيل أو العرض والحكي)

المراجع:

مجموعة من المؤلفين، طرائق تحليل السرد الأدبي، تر/ مجموعة من المترجمين، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992.